مصادر التفسير:

وقد أستمد هذا العِلْمُ الجليل مادته الخام من مصادر رئيسة ومَشَارِبَ أساسية ثلاثة؛ هي:

الأول = المصدر النقلي

وصور التفسير النقلي، والذي يُطلِقُ عليه بعضُهُم اسم: «**التفسير بالرواية**»، أو «**التفسير بالمأثور**» تشمل **الجوانب الأربعة** الآتية:

أ- **تفسير القرآن بالقرآن**؛ فما أجمل في موضع؛ فقد فُصِّلَ في موضع آخر، وما قيد في موضع؛ فقد أُطلِق في موضع آخر، وما جاء عاماً في موضع؛ فقد تم تخصيصه في موضع آخر، وما جاء فيه غريباً أو مبهما أو مشكلاً أو غامضاً في موطن؛ فقد تم تعريفه وإيضاحه وبيانه ورفع الإشكال والغموض عنه في موطن آخر ... إلخ.

وقد تناولنا في صور تفسير النبي ﷺ للقرآن نماذج تطبيقيةً مُوجَزَةً هذا اللون من التفسير الذي يُعدُّ أعلى أنواع التفسير وأوثقها؛ لأنه تفسير للقرآن من القُرآن نفسه، والنَّصُّ القُرآنِيُّ قطعيُّ النُّبُوت؛ فلا يتطرَّقُ

إليه الريب أو الجرح أو ما شاكل ذلك مما يعتري كُل ما دونه من الروايات البشرية التي لم ترتق كثير منها إلى مرتبة الصحة والثُّبُوت والتَّواتر.

ب - **تفسير القرآن بالسُّنَّة النبوية؛** إذ إنَّ المَهَمَّةَ الأولى والأساسية للسُّنَّة المطهرة هي بيانُ معاني التنزيل الحكيم، والسُّنةُ تُمثلُ الشَّطْرَ الثَّاني للوحي المنزل ، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٣-٤]، وقال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ [الحشر: ٧].

ج - **تفسير القرآن بأقوال الصحابة؛** فهُمُ العرب العرباء، وهُم أربابُ اللُّغة الفُصْحَى وفُرْسانُ البيان، وهُم من نزلَ القُرآنُ عليهم وبلغتهم، فضلاً عن كونهم أطهر أجيال الأمة قُلُوباً، وأنقاهم سريرةً، وأعلاهم وَرَعاً، وأغزَرَهُم عِلماً، وأقلهم تكلُّفاً، كما كانوا بطبيعة الحال أقربَ النَّاس إليه وألصقهم به، و من خلال معايشتهم وصحبتهم الميمونة له في حله وترحاله.

وقد أختلف العلماء في حُجِّيَّة قول الصَّحَابي، وفي مَدَى وُجُوب الأخذ به على قولين:

- فمنهم من قال بعدم وجوب الأخذ بقول الصَّحَابيِّ إلا إذا كان مرفوعاً إلى النبي ﷺ.

- في حين ذَهَبَ فَرِيقٌ آخَرُ منهم إلى القول بوُجُوب الأخذ به في كُلِّ الأَحْوَال؛ لظنّ سَمَاعِهِ من النَّبيِّ، ولأنَّ الصَّحَابَة أطهرُ الأُمَّةِ قُلُوباً، وأَعْزَرُهُم علما، وأكثرهم درايةً بمرادات الشَّرع ومَقَاصِدِ نُصُوصِهِ.

د - **تفسير القرآن بأقوال التابعين**؛ فإنَّها ذات قيمة علمية عالية إذا ما حَالَفَهَا الاتِّفاقُ والإجماع. جدير بالذكر أنَّ قولَ التّابعي لا يجب الأخذ به في قضايا الحلال والحرام إلا إذا أيده أحد الأدلة الثلاثة السابقة أو أكثر؛ وهي: القُرآن، والسُّنَّة، وقولُ الصَّحَابيِّ.

****

الثاني - المصدر العقلي

تأكد لنا فيما مضى أَنَّ النَّبيِّ ﷺ لم يُفسر القُرآنَ كُلَّه تفسيراً شاملاً؛ لذا أعمَلَ المجتهدون من الصحابة

ومن جاء بعدهم عُقُولهم في تفسير ما يحتاجُ إلى تفسير من نُصُوص القُرآن الحكيم، مُستَنِدِينَ في ذلك إلى **ثلاثة أمور**:

* عُقُولهم النَّيّرة تارةً.

* مُعطيات اللُّغة وقواعدها تارةً أخرى.

* عادات العرب في شعرهم ونثرهم وأنماط عيشهم.

فجُذُورُ التَّفسير العقلي وبواكيرُهُ الأولى مُمتدَّةٌ إلى عَصْرِ الصَّحَابة والتابعين

وخير من يُمثل هذا الاتجاه: المعتزلة الذين يُقدسون العقل، ويضعونه في المرتبة الأولى في التوصل إلى معرفة دَلَالَاتِ الأحكام الشَّرْعية، ويأتي «**الكشاف** عن حقائق غوامض التنزيل وعُيُون الأقاويل في وُجُوه التأويل» الجار الله محمود بن عُمر **الزمخشري** (ت ٥٣٨ هـ) في مُقدِّمة كُتب التفسير التي عَوَّلَتْ على هذا المنهج كثيراً، والمتصفح هذا الكتاب يجد أنَّ رائِدَهُ - الإمامَ الزَّمخشري - قد اتخذ من العَقْل ومن البَلاغَةِ وفنونها وأساليبها أساساً له ومُعتَمَداً في التفسير برُمَّته من أوَّله إلى آخِرِه؛ فكان تفسيره المقدَّم والمرجع الأول في هذا الجانب.

ولكي يكونَ المَصْدَرُ العقلي في التفسير مقبولاً؛ لا بُدَّ أن تتوافر في المفسر جُملَةُ شُرُوطٍ، أهمها: الشَّرْطُ الأَوَّل: العِلْمُ باللغة عِلْماً سليماً؛ كي يُدرِكَ المفسِّرُ من خلال الإلمام بقواعدها وأساسياتها معاني

التّصريف البياني في القُرآن الكريم.

الشَّرْطُ الثَّاني: أن لا يُخالِفَ المفسِّرُ في تفسيره المأثور عن النبي ﷺ.

الشَّرْطُ الثَّالث: أن لا يتعصب المفسِّرُ في تفسيره لفكرة أو فِكْرٍ أو مَذْهَب.

****

الثالث = المصدر اللغوي

مما لا ينبغي إغفاله في هذا الباب : العِلْمُ بأنَّ **اللُّغة هي الأساس الأوّل لتفسير القرآن الكريم**؛ ضرورة أنَّ القُرآنَ عربي، قد أُنزِلَ بلغة العرب وعلى ضَوْء سَنَنِهم في الخطاب؛ لذا فإنَّ الاعتماد على قواعد لغة العرب في تفسير القرآن يُشكل جانباً حيوياً ومهماً في تفسير القرآن الكريم وتدبر آياته.

ويعتمد هذا المصدر الحيوي في التفسير على أقوال العرب وما أثر عنهم من شعرٍ ونثرٍ وأمثالٍ، ويُعوّلُ كثيراً على عُلُوم اللغة العربية من نحو وإعراب، وصَرْفٍ وبنية، ومُعجَمٍ وأشتقاقٍ، وَبَلَاغةٍ وأُسلُوب... ولا ضَيْرَ في ذلك ولا غضاضة فيه؛ فاللغة هي أداةُ التَّعبير، وهي وسيلة التفاهم، وعن طريقها يتم البيان والبلاغ.

جدير بالذكر أنَّ المصدرَ اللُّغوي - على أهميَّته وجلالة قَدْرِهِ في تفسير القرآن الكريم وفهم معانيه - لا يَستَقِلُّ بهذا الجانب الخطير؛ بَلْ لا بُدَّ من الرُّجُوع معه ورَفْدِهِ بمأثورات النقل ومُعطيات العقل؛ ولَكِنْ يُمكنُ عَدُّ اللُّغَةَ الأَسَاسَ لِكُلِّ منهما.

****